الحياة الاقتصادية في مدينة "إيذج" في عصر أتابكة لورستان الكبرى (٥٤٤-٥٨٢٧/١١٤٨-١٤٢٤م)

الباحث/ أحمد خلف الله عبد الراضي عوض

احتلت مدينة "إيذج" مكانة متميزة على المستوى الاقتصادي في عصر أتابكة لورستان الكبرى، حيث شهدت طفرة نوعية في شتى المجالات الاقتصادية، فزراعيًا كان فيها جميع أنواع المحاصيل الشتوية والصيفية، واقتصاديا برزت مدينة "إيذج " في صناعات شتى لاسيما أشهرها صناعة الديباج والألبان ومشتقاتها من الصناعات المحلية الهامة، إضافة إلي غزل الصوف والشعر وغيرها من الصناعات المتنوعة ،أما على المستوى التجاري فكانت مدينة "إيذج" متفردة في هذا المجال نظرا لازدهار الثروة الحيوانية والزراعية ،فبلغت تجارة الثياب القطنية والحريرية مبلغاً عظيمًا.

وسنعرض الحياة الاقتصادية في مدينة "إيذج" بداية بالزراعة، وكيفية ري أهالي إيذج لأراضيهم الزراعية، وملكيتهم للأراضي الزراعية، وأبرز المحاصيل الزراعية التي تم زراعتها في أراضيهم، ثم الحديث عن الصناعات الإيذيجية التي تميزت بها المدينة، ثم يختم الفصل بالحديث عن الحياة التجارية متمثلا في أهم المعاملات التجارية داخل المدينة وخارجها.

أولا الزراعة

مما لا شك فيه أن الزراعة في هذه الفترات كانت تعد عصب الحياة الاقتصادية باعتبارها من أقدم الأنشطة التي مارسها الإنسان لتوفير أبسط احتياجاته اليومية وتحليل مظاهر النشاط الزراعي فى مدينة إيذج خلال حقبة أتابكة لورستان تدفعنا لدراسة طرفى العملية الزراعية؛ وهما الإنسان والأرض والعلاقة بينهما سواء في وضعية الأرض وأشكال الملكية، وعلاقات الإنتاج أو فى طبيعة الإنتاج الزراعي والعوامل التي أثرت فيه.

حيث تتخلل أراضي إقليم لورستان عامة وإيذج خاصة سهول ووديان خصبة ذات مياه وفيرة ومزارع كثيفة، كسهل اليستر ذات المراعي الخضر الكثيفة حيث كان يضم مزارع وقري كانت تسقي من نهر كشكان [١].

وقد ازدهرت الحياة الزراعية في إقليم لورستان لعدة أسباب نذكر منها: استتباب الأمن في أكثر الأحايين، كما اهتم أتابكة لورستان بإيذج بالزراعة لاسيما بعد نزوح الكثير من العشائر الكردية العديدة من جبل السماق في القرن السادس للهجرة واستوطنت هذه القبائل الإقليم وزاولت حرفة الزراعة واتخذتها مهنة لها[٢].إضافة إلي أن التربة الرسوبية وتوفر المياه في تلك المنطقة ساعد علي ظهور الزراعة فيها منذ عهود سحيقة وأزمنة قديمة.

حيث وُصفت بأنها " أرضها نحاس نباتها الذهب، كثير الثمار، والأرزاز، والقصب، والحبوب، والرطب، والإترنج الفائق، والرمان، والعنب.[٣]، وتعد سهول خوزستان الشمالية من الراضي الزراعية المهمة لانتشار الأنهار فيها (دزفول، الكازون بفروعها) حيث أنها منطقة الإنتاج الزراعي الوفير نظرًا لخصوبتها [٤].

إضافة للعديد من المناطق التي تتميز بوفرة الإنتاج الزراعي منها منطقة الهضاب والسهول التي يقطنها البختياريون والتي هي أقل ارتفاعا من منطقة الجبال هي الأخري منطقة الإنتاج الزراعي الرئيسية [٥]. ومنطقة استقرار البشري وهي أغنى ما تكون في الشمال الشرقي من بروجرد[٦]. وتزداد أهمية هذه المنطقة مع زيادة المياه، حيث تغذية دائما الأمطار الغزيرة الساقطة علي شمال الإقليم.

---

[١] – ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر ــ بيروت،ج١،ص٢٧٦.

[٢] – المستوفي القزويني، حمدالله بن أبي بكر بن حمد بن نصر(ت٧٥٠ه/١٣٤٩م):ـــــــ تاريخ كزيدة.انتشارات امير كبير،تهران ،١٩٦١م،ص٥٤٠.

[٣] – المقدسي(٣٨٠هـ / ٩٩٠م): أبو العباس تقي الدين أحمد بن بن محمد العبيدي المقريزي :أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي ، القاهرة،١٤١١هـ / ١٩٩١م.، ص٤٠٢.

[٤] – **البدليسي**، شرف خان شمس الدين (ت ١٠١٢هـ/١٦٠٤م): "شرفنامة"، ط٢، ترجمة إلى العربية محمد علي عوني، راجعه وقدّم لهُ يحيى الخشاب، مطبعة دار الزمان، دمشق– سوريا، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٨٧.

[٥] – سردار أسعد علي قليخان بختياري: تاريخ بختياري، الطبعة الأولي طهران ،١٩٨٣م.،ص١٤٠،١٣٩.

[٦] – جمال وديعي: قبائل وعشائر اللر ، ترجمة جلال وردة ، مجلة الثقافة ، العدد ١١،١٢، لسنة ١٩٨٠م،ص٣٣.

ملكية الأرض في إيذج في عهدأتابكة لورستان:

تعددت أشكال ملكية الأرض في مدينة إيذج خلال عصور حكم أتابكة لورستان؛ فقد كانت هناك الكثير من لأراضي تحت سيطرة.وبما أن الأتابكة كانوا علي سدة الحكم في إيذج لعقود طويلة نجد سلاطينهم وملوكهم قد أقطعوا كبار قادة الجيش والجنود إقطاعات كثيرة وذلك حسب ولائهم للسلطان. وإذا ما تراخي في ولائه تسحب منه علي الفور[١].

وكانت أرض إيذج منقسمة بين فئات منها " الفلاح " اللورى البسيط، ثم يأتي " الأثرياء وأصحاب المناصب" في الدرجة الثانية، وهو الإقطاع المدني أي إقطاع الفلاح بخلاف الإقطاع العسكري أو الحربي [٢].

الإنتاج الزراعي في إيذج ابان حكم أتابكة لورستان الكبرى:

عرف إيذج منذ أقدم العصور الزراعة وبسبب ظروفها المناخية وخصوبة أرضها ووفرة مياهها، ازدهرت فيها الزراعة بشكل واسع حتى أصبح بلادهم في كثير من الفترات مصدراً مهماً للإنتاج الزراعي يوفر الغذاء ليس لسكانه وللأقوام التي هاجرت اليه بل إلى كثير من البلدان المجاورة بفائض منتجاته الزراعية. فإقليم لورستان عامة إقليم زراعي من الدرجة الأولي وذلك بسبب طبيعة البلاد الزراعية وكثرة الانهار في بلاد لورستان. بالإضافة إلى المناخ المعتدل، الذي لم يكن مفرطاً في الحر أو في البرودة مما أدي إلى تنوع الإنتاج الزراعي وغزارته.

---

١ – جواد صفي: نزار عشائر مركزي إيران، ص١٠٩.

٢ – راجع محمد عمارة حول مصطلح الإقطاع " الإقطاع " هو ما يقطعه ولي الأمر لنفسة أو لغيرة ، من أرض أو من غيرها من أي نوع من الأموال ، القابت أو المنقول ، والأرض المقطعة تسمي قطيعة وجمعها قطائع أو إقطاعات ، والإقطاع – في الأصل وفي التطبيقات الإسلامية الأولي – تمليك للنفقة لا للرقبة ، والإقطاع الحربي : هو إقطاع الجند الزراعية مقابل حمايتهم للبلاد ، وهو نظام طرأ منذ دول العساكر ؛ الأيوبية والملوكية ، قاموس المصطلحات الاقتصادية ،ص ٤٢، راجع أحمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر– دمشق ، الطبعة الأولي، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م،ص ١٢٤/ أيضا أحمد الشرباصي: المعجم الاقتصادي الإسلامي ،ط دار الجيل بالقاهرة ،١٤٠١هـ/١٩٨١م،" والإقطاع يكون تمليكا وغير تمليك " كلمة الإقطاع " ص ٣٦٤ /أما الماوردي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، فيقول في كتابة :"وإقطاع السلطان اختص بما جاز فيه تصرفه ونفذت فيه أوامره ، ولا يصح فيما تعين فيه مالكه وتميز مستحقة ، وهو ضربان : إقطاع وتمليك ، وإقطاع استغلال "،راجع الأحكام السلطانية ، تحت باب السابع عشر في أحكام الإقطاع ،ص ٢٤٨.

أشهر المحاصيل الزراعية:

كان لخصوبة أراضي مدينة "إيذج" بالغ الأثر في جعلها منبتًا للعديد من الحبوب والفاكهة التي زرعت على أراضيها، إضافة إلى كثرة الموارد المائية من أنهار وسهول وغزارة الأمطار، كل هذه العوامل كان لها الأثر الإيجابي في ازدهار الزراعة في مدينة "إيذج".

كما يعتبر إقليم لورستان بالكامل من أشهر بلدان العالم إنتاجا للعديد من المحاصيل الزراعية المهمة، بجانب تفردها في إنتاج مئات الأنواع التي لا تنبت في أماكن سواها[١]. ومن هذه المحاصيل التي زرعت على أرض "إيذج":

١ القمح:

يعد القمح من أهم المحاصيل الزراعية الإيذيجية، وهو الغذاء الرئيس لدى سكان مدينة "إيذج" وهو من محاصيل المناطق الجبلية والسهلية [٢] وتلك المناطق كانت تزرع فيها من ٣٠-٥٠ نوعًا من الغلال. وكان اللورى يقوم بزراعة سفوح الجبال زراعة ديمية ويعتمد في بعض الأحيان على الأرواء ولكنه بنسبة قليلة[٣].

وتجود زراعة نبات القمح في التربية المستوية، كما أنه يختلف حصاده حسب الأماكن المزروع فيها [٤]. كما يفضل حصاده سريعًا وفيه بعض الرطوبة ليكون أجود وأحلى [٥].

٢ الشعير:

وهو من المحاصيل الشتوية الإيذيجية، ويستخدم علفا للحيوانات ويحصد أخضر، ويعرف بالقصيل [٦].

---

[١] – المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٤٠٣

[٢] – المقدسي: المصدر السابق، نفس الصفحة

[٣] – ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص٥٩٦.

[٤] – الاشبيلى : كتاب الفلاحة ،طبعة مدريد ،١٨٠٢م، ج٢،ص ٣٦،ص٤٣٢

[٥] – عبد الغنى النابلسي: علم الملاحة في علم الفلاحة، الطبعة الأولى، مطبعة نهج الصواب ، دمشق ١٩٥٢م،ص ١٣٨.

[٦] – الإشبيلي: كتاب الفلاحة، ج٢، ص٤٣٨.

٣ القطن:

وهو محصول صيفي يحتاج إلى درجة حرارة مرتفعة، نظرًا لأن الدودة تصيب المحصول بإصابات بالغة، ويمكن زراعته في أي نوع من أنواع التربة [١]، كما يعد القطن أهم المحاصيل بأنواعه العديدة، والذي كان يزرع في نهاوند [٢]. ومنها انتقل إلى العراق والأندلس منذ القرن الثاني الهجري / القرن السابع للميلاد [٣]. والزعفران في بروجرد[٤].واشتهرت تلك المدينة بخصوبتها وكثرة فواكهها التي تحمل إلي البلدان المجاورة[٥].

٤ الأرز:

وهو محصول صيفي، يحتاج إلى كمات كبيرة من الماء، نظرًا لزراعته على الأراضي الملحية، التي تحتاج المياه بكثرة لإذابة الاملاح [٦]. والأرز أجود ما يكون على السقي ، وقد يزرع على غير السقي في القيعان الرطبة[٧].

ويزرع الأرز في ضفاف الأنهار بنطاق أوسع [٨]. وقد اشتهرت مدن لورستان بكثرة محاصيلها الزراعية حيث وصفت بأنها كانت ذات مزارع كثيرة عامرة تحتوى على الكثير من الفواكه والخضروات، فالصيمرة كان فيها من الثمر الكثير منها الجوز وفيها أشجار وزروع[٩].

---

[١]- كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ،ص ٣٥٦؛ حورية محمد حسن : مبادئ الجغرافيا العامة ، الطبعة الأولى ،دت، ص ٢٨.

[٢] – المصدر السابق ص ٣٩٥

٣ – موريس لومبارد : الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري ، ترجمة عبد الرحمن حميده ،ط ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ،١٩٩٨م، ص ٤١-٤٢.

[٤]- المقدسي: أحسن التقاسيم ٣٩٥.

[٥] – الإصطخرى: المسالك والممالك، ص٨٦.

[٦]- **الحميري(ت٩٠٠هـ/١٠٩٤م): محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح احسان عباس، الطبعة الثانية، مؤسسة ناصر للثقافة، القاهرة-١٩٨٠م.،ص٢٥٠.**

[٧] – **عبد الغنى النابلسي: علم الملاحة في علم الفلاحة، الطبعة الأولى، مطبعة نهج الصواب ، دمشق ١٩٥٢م.،ص١٣٥.**

[٨]- ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص٥٩٦.

[٩]- ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣١٤.

٥ الذرة:

وهى من المحاصيل الزراعية الصيفية الإيذيجية ، وهى في الغالب طعام للفقراء ، ومعظم الفلاحين البسطاء ، وذلك لأنها تباع بثمن رخيص ، ويفضل زراعتها في القيعان الرطبة ، والرملية المتندية [١]، وتعتبر الذرة من المحاصيل التجارية التي تزرع بهدف تأمين الأسواق[٢].

وتكثر في إيذج ونواحيها زراعة الذرة والسمسم والقطن [٣].وعن أنواع الثمار والزروع المختلفة فيها فجملة ما ذكره المؤرخون عنها أنها كثيرة الثمار[٤] تحيط بيها البساتين العامرة الزاهرة [٥]. وذُكر أنها كثيرة الخير كثيرة الفاكهة [٦].

٦ قصب السكر:

كما كانت مدينة السوس موطناً لزراعة قصب السكر حيث كان سكرها يسوق إلي سائر الجهات [٧]، كما كان بها زراعات الأرز، واشتهرت بكثرة الإترنج أيضًا[٨].ويرجع هذا التنوع في النباتات والمحاصيل التباين مناخ البلاد المختلفة ووفرة المياه الأمطار الموسمية الغزيرة التى كانت تسقط أربعة أشهر في السنة،واعتمد عليها اللور في ري الأرض في نهاية فصل الصيف .

٧ الفستق:

كما اشتهرت مدينة إيذج بأجود أنواع الفستق، وفيها نوع من القاقلي تنفع عصارته داء لمرض النقرس، ولهم بها بطيخ كثير، وكان اعتماد مزارعها على مياه المطار، كما كان بها بساتين العنب والنارج والإترنج والليمون على بعد أربعة فراسخ أي ٢٤ كم شمال غرب إيذج [٩].

---

[١] – عبد الغنى النابلسي: علم الملاحة في علم الفلاحة،ص١٣٥.

[٢] – حورية محمد حسن : مبادئ الجغرافيا العامة ، دت، ص ٢٨.

[٣]– المقدسي: المصدر السابق، نفس الصفحة.

[٤] – الإصطخرى: المصدر السابق، ص١١٧.

[٥] – ابن حوقل: صورة الأرض،ص٣٨٠.

[٦] – المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٨٦.

[٧] – أحسن التقاسيم ،ص٤٠٨.

[٨]– أبو الفداء: تقويم البلدان ،ص٤١٥.

[٩]– ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص٢٨٨.

الفواكه:

لا شك ان المساحة الزراعية الواسعة التي تمتعت بها مدينة " إيذج " ساعدت بشكل كبير في تنوع الإنتاج الزراعي في المدينة حيث اشتهرت مدينة "تستر" بفواكهها الكثيرة التي كانت تحمل منها إلى بلاد لورستان لاسيما الدستنبويه المشهور [١]. واشتهرت أيضا شابور خواست بكثرة رياحينها وأزهارها وبثمار الجروم والصرود من النخيل والزيتون والجوز والإترنج واللوز والعنب وقصب السكر. ومن أبرز مزارعهم النخل حيث أن إقليم لورستان به نخل كثير[٢].

وأما السيروان [٣] فقد اشتهرت بثمار بلاد الصرود أي البلاد الباردة "كويستان" وبلاد الجروم أي " البلاد الحارة "كرميان" . كما اشتهرت كورة (مهرجان قذق) التي تحيط بالسيمرة بكثرة خيراتها فقد وُصفت بانها " بها نخل وزيتون وجوز الهند[٤] .واشتهرت مدينة نهاوند بأنها كانت ذات ثمار طيبة وبساتين عامرة [٥].كما اشتهرت مدينة الكرخة [٦] بكثرة بساتينها[٧].

الفواكه الطبيعية:

كما استفاد اللور من أشجار الفواكه الطبيعية، حيث كانت أشجار الجوز منتشرة في المناطق الباردة [٨]. كما اشتهرت هذه المنطقة بكثرة أشجارها الطبيعية من البادان الجبلي والصفصاف التين فضلاً عن شجيرات الدفلي والورود البرية التي تنمو في اودية الجبال وسفوحها[٩] .إضافة إلي

---

[١] – القزويني: آثار البلاد ،ص١٧١.

[٢] – المقدسي: أحسن التقاسيم ،ص٤١٤.

[٣] – السيروان : وهى مدينة جليلة القدر واقعة بين الجبال والشعاب في كورة ماسبذان ، جنوب سها مايدشت وهي أشبه المدن بمكة المكرمة فيها عيون ماء متفجرة في وسط المدينة إلي أنهار عظام تسقي المزارع والبساتين والحقول والقري والضياع علي مسافة ثلاثة أميال ، وكان أغلب بناء منازلها من الجص والحجر ، وأهلها أخلاط منهم العرب والعجم من الفرس والكرد(اليعقوبي: البلدان ،ص٣٦٩، الإصطخري : الأقاليم ،ص٨٦).

[٤]– ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١، ص٤٤٣.

[٥] – المقدسي: المصدر السابق،ص٣٩٣.

[٦] – الكرخة : هي مدينةصغيرة عامرة بالبساتين والمزارع الواسعة ، سوقها يوم الأربعاء من كل أسبوع ،بها حصن كبير(المقدسي: احسن التقاسيم،ص٤٠٨).

[٧]– المصدر السابق نفسه

[٨] – ابن حوقل : صورة الرض ،ص٣١٤.

[٩]– المقدسي: أحسن التقاسيم ،ص٣٨٢.

انتشار الغابات في وادي الصيمرة وجبال خرم أباد[١] وفي جبال الكوة كيلويه اللوريه[٢] حيث نمت في تلك المناطق الجبلية الكثير من النباتات الطبية التي اشتهرت بها لورستان منها الكاعوب[٣] والكمأة [٤].

النباتات الطبيعية

إضافة إلى العديد من النباتات الطبيعية ذات القيمة الغذائية التي كانت تستهلك محليًا مثل الكاردي والريواس الذي كان ينمو وسط الثلوج وفي أعالي القمم الجبلية، كما تنمو النباتات الصمغية كالكتيرة والصمغ الأصفر [٥].

ويعزى تنوع النباتات الطبيعية لعدة أسباب: نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر أن منطقة إقليم لورستان والأحواز تغلب عليها الجبال، إضافة لتباين المناخ أيضا من المناطق الحارة إلي المناطق الباردة،[٦] مما أدى إلي نمو الغابات الكثيفة مثل غابات البلوط[٧]. التي تعددت استخداماتها حيث استخدمت جذوعها حطبًا للتدفئة شتاءًا، والاستفادة من أوراقها لتغطية أسطح المنازل صيفاً وتقيهم برودة الجو شتاءًا.

وقد وصف الرحالة ابن بطوطة [٨]جنازة ابن الأتابك أفراسياب التي حضرها وشارك في تشيعها في مدينة "إيذج" مدى اهتمام الإيذجيين بأشجار الفواكه والثمار فقد قال في معرض حديثة عن الجنازة "كأنها تمشى في بستان ، لأنه جيء بها وهى بين أشجار الإترنج والليمون والنارنج وملؤها أغصانها بثمارها والأشجار بيد الرجال.

---

[١] – جمال وديعى :قبائل وعشائر اللر ، ترجمة جلال وردة، مجلة الثقافة ، العدد الحادى عشر والثانى عشر ، سنة ١٩٨٠م.

[٢] –جواد صفي: عشائر مركزى إيران ،ص٣٦٥.

[٣] – الكاعوب : هو عوسج يدعى "كنكر" وهو نبات يؤكل عندما يكون غضا ، أي في أوائل عمرة وإذا أكمل نموه قطع وترك في العراء ليجف حتى تموز ويختزن علفًا للمواشى في أيام الشتاء بعد أن يعزل عنه بذوره .رمضان شريف الداودى :لورستان الكبرى ،ص١٢٣.)

[٤] – الكمأة: من النباتات الطبيعية ذات القيمة العالية، وهى مادة بديلة اللحم، (رمضان شريف الداودى: لورستان الكبرى،ص١٢٣).

[٥] – جواد صفي: عشائر مركزى ايران ،ص٤٩.

[٦]– شريف الداودي: لورستان الكبرى، ص١٢٢.

[٧]– ابن بطوطة : الرحلة ،ج١،ص١٢٢.

[٨]– ابن بطوطة:المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة

كما أسهب الجغرافيون في ذكر محاصيل إقليم الجبال ولرستان منه فقالوا عنه "أنه إقليم حشيشه الزعفران، وأشجاره الجوز ووصفت بساتينه في الصيف كأنها جنة، وقيل ان العناب والتفاح يحتفظ بهما على السنة القادمة [1]. ونستنتج من هذا دليلا على كثرتها.

كما كان للحروب التي وقعت بين أتابكة لورستان في مدينة "إيذج" وغيرها من الدول المجاورة أثرها في تدمير البلاد وخراب المحاصيل الزراعية، كما ألحق الخوارزميون بالممتلكات الزراعية في إقليم لورستان خسائر فادحة ،إضافة إلي المغول الذين الحقوا الخراب والدمار بالأراضي الزراعية حيث تعرضت لورستان على أيديهم إلى الدمار من جراء العمال التي قام بها قادة المغول من السلب والنهب والتخريب وحرق المزارع عند مطاردتهم للأتابك تكله سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م ،كذلك في عهد الأتابك أفراسياب الذى فشل في انتفاضته ضد السلطان المغولي كيخاتوخان [2].

ويظهر من العرض السابق مدي الإنتاج الغزير الذي تميزت به إيذج من المحاصيل الزراعية من مواد غذائية، وعقاقير طبيعة، وفواكه وأنواع مختلفة من الطيب، وكل تلك المنتجات قد أهلت الإقليم ليحتل مكانا متميزا بين الدول المصدرة لأغلب المنتجات مما كان له أثر طيب في نمو وازدهار تجارته الداخلية والخارجية على حد سواء، وتوفير الرخاء والنمو الذي عم أرجاء البلاد.

فلقد فرضت طبيعة إقليم لورستان عامة وإيذج خاصة المتنوعة التضاريس على السكان الضاربين بين السهول الفسيحة كسهول: بروجرد، وتستر، والسفوح الشمالية للأهواز، حيث تسود التربة الخصبة والمناخ المعتدل والأمطار الغزيرة، إضافة إلى وفرة المياه والمنتجعات الواسعة والغابات الكثيفة حياة رغدة نتيجة ملاءمة الظروف الطبيعية، فمارسوا الزراعة وامتهنوا صناعات متنوعة، واستقروا في بيوت مبنية من الطين والحجارة، فشكلوا بذلك النواة الأولى لنشأة المدن والقرى في المنطقة.

---

[1] -المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٤٨٤.

[2] - راجع العلاقات مع الدولة المغولية

الثروة الحيوانية في مدينة إيذج:

كان من الطبيعي مع التنوع الكبير للبيئة في إقليم لورستان عامة وإيذج خاصة ومساحته الشاسعة أن تتنوع الثروة الحيوانية بها ويزداد حجمها بصورة كبيرة. وخاصة في الحيوانات التي كانت تستخدم للاستهلاك البشري سواء للطعام أو الصناعة لأن بها "مالا يحصى من فقد تمتعت إيذج بوفرة الدواب السائمة من الجواميس والأبقار والأغنام والماعز.

لقد حكمت مظاهر الطبيعة علي الإقليم أن يكون منطقة رعوية، حيث امتداد جبالها العالية، وكثرة صحاريها الشاسعة، حد من الأراضي الزراعية، ونظرا لمكانة الغنام والمواشي في الإسلام [١] ، ولكون الماشية هي مصدر من مصادر العيش فقد اهتم اللورى بتربيتها ونشأتها سواء كان من اهل المنطقة او من الرحل وشبة الرحل بتربية الغنام والمواشي شأنهم شأن بقية الكورد في إيذج[٢].

وقد وصف لنا الرحالة ابن بطوطة [٣]. طريقة تسمين الماشية خلال تلك الفترة؛ حيث كان يؤتى بحبوب الموت والحمص وتجرش وتبل بالماء ثم تطعم للماشية، كما كان يتم سقى الماشية السمن لمدة عشرة أيام فى كل يوم بمقدار ثلاثة أرطال أو أربعة، وبعدها تطعم أوراق نبات الماش. ونظرا لقلة اعلاف الماشية في المناطق الحارة فإنهم كانوا يقومون بشرائها وخزنها لأيام الشتاء[٤]، كما كانت تربية النحل معروفة في كوه كيلوله [٥].

كما ان كثرة الغابات الواقعة في وديان المنطقة علي سبيل المثال منطقة وادى الصميرة وجبال خرم أباد غير الممطرة صيفاً المعتدلة المناخ جيدة للرعي [٦]، فقد كان الرعي بالنسبة لسكان المنطقة مصدر عيش، لذلك

---

[١]– النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ،ج١،ص١٢٦.

[٢]– جواد صفي : عشائر مركزى ايران ،ص١٠٩.

٣ – ابنبطوطة : الرحلة،ص ٤٠٨.

[٤]– جواد صفي : عشائر مركزى ايران ،ص٢٠١

[٥] – جواد صفي : عشائر مركزى ايران ،ص١٩٩.

[٦]– جمال وديعى:قبائل وعشائر اللر،ص٥٠.

اهتموا باقتناء الغنام شأن سكان إقليم الجبال.[١].كما نستدل على كثرة تربية المواشي من قول المقدسي[٢]"أن شراب أهله العسل والألبان.

يمكن القول إن أعدادا لا تحصى من الغنام والأبقار، كانت ذكورها تصدر إلى مدينة "أصفهان" لتباع للجزارين [٣]، ونظرًا لحاجة اللور للبغال والحمير والخيول للنقل والحروب والأحمال، حرصوا على اقتنائها وتربيتها بأعداد كبيرة، كما كان اللور يبيعون الحمير إلى المدن المجاورة [٤].

ولقد كانت تربي في مدينة إيذج الطيور الداجنة منها وغير الداجنة، فالداجنة فكان منها الدجاج والبط والحمام والديك الرومي، واما غير الداجنة فهي البط البري، الدراج[٥] والهدهد[٦].

وصفوة القول إن إيذج متنوعة في كل شيء، حيث تنوعت منتجاتها الزراعية مما أدي إلى كثرة محاصيلها، وغزت بلاد العالم أجمع شرقا وغربا شمالا وجنوبا، وطغت شهرتها على شهرة منافسيها في العالم آنذاك.

ويتضح مما سبق مدي اهتمام أهل إيذج بتربية الحيوانات للاستفادة بلحومها أو جلودها، كما قاموا بتربية الدواب لاستغلالها في الحروب أو في العملية التجارية، كما قامت صناعة متميزة ألا وهي صناعة الجلود التي كان المصدر الأساسي لها الماعز، ويتضح مدي وفرة الانتاج الحيواني نتيجة وفرة المراعي، ووفرة تنوع البيئة الملائمة لها.

ثانياً: الصناعة والإنتاج الصناعي

بجانب النشاط الزراعي وجدت بعض الأنشطة الصناعية المختلفة، التي اعتمدت على المواد الخام المتوفرة، والمحاصيل الزراعية كالقطن والنيلة. لكن التطور الصناعي خلال تلك الفترة لم يكن كبيراً فقد كانت

---

[١] – الإصطخرى : المسالك والممالك ،ص١٢٠.

[٢] – المقدسي : احسن التقاسيم،ص٣٨٤.

[٣]– شريف الداودي:لورستان الكبرى،ص١٢٢.

[٤] – شريف الداودى: المرجع السابق ،نفس الصفحة

[٥]– الدراج :وهو طائر من الدجاجيات وهو من الطيور ، مرقط بالسواد والبياض ، قصير المنقار ويدرج في مشيه ، وهو أكبر من الحجل ولكنه شبيه به ، يطلق على الذكر والأنثى.

[٦]– ابن بطوطه : الرحلة ،ج١،ص ١٢٣.

الصناعات يدوية بدائية في الغالب، ومعظمها مرتبط بالاستهلاك المحلى،وهذا الأمر كان غالبا على معظم الصناعات في العالم في تلك الحقبة التاريخية.

الحرف والصناعات:

استطاع أهل مدينة "إيذج " أن يبرعوا في صناعة المنسوجات القطنية، وحياكة الصناعات الحريرية وكل ما يخص الملابس، إلى جانب العديد من الصناعات التي برعوا واتقنوا في عملها، وقد تقدمت الصناعة في المدينة وغيرها من البلدان التي كانت تحت سيطرة أتابكة لورستان وذلك للأسباب الآتية:

وفرة المواد الخام اللازمة للكثير من الصناعات، فقد اشتهرت مدينة "إيذج" بصناعة السجاد والحرير والمنسوجات القطنية [١].

الموقع المتميز لمدينة "إيذج" .

وفرة الأيدي العاملة من الكورد والفرس والعرب من سكان المدينة ونواحيها.

ومن أهم تلك الصناعات التي عرفتها مدينة "إيذج"

١ صناعة الديباج:

اشتهرت " صناعة الديباج " في إيذج ومدنها كثيرا وقد اكتسبت شهرة عالية في العالم، وذاع صيتها وكذلك الثياب الحسنة من القطن، التي وصفت بأنها معدن كل حاذق في عمل الديباج والقطن[٢].

كما وصف الثياب التي في "تستر" بالرقة والدقة؛ حيث تستر في صناعة الحرير والصوف والستور والفرش، حيث كانت مصدرا لتصديرها"[٣] .كما اشتهرت مدينة "السوس " بصناعة الخزر الثقيلة إذ كانت من الصناعات المتطورة في حينها [٤]

---

[١]– سعاد ماهر: النسج الإسلامي ، الطبعة الأولى ، مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٧م،ص ٩٤.

[٢]– المقدسي :أحسن التقاسيم ،ص٤٠٩.

[٣]–القزوينى : آثار البلاد،ص٧١، ابن حوقل :صورة الرض،ص٢٣١.

٤ – ابن حوقل :صورة الأرض ،ص٣١٤.

٢ صناعة الألبان:

كما كانت الألبان ومشتقاتها من الصناعات المحلية التي اشتهر بها إقليم لورستان، فقد اشتهر بإنتاج الجبن الفاخر [١]، وما تزال هذه الصناعة قائمة إلى يومنا هذا، فالجبن الكردي اليوم يعد من أرقى أنواع الجبن وأكثرها قيمة وأغلاها ثمنا[٢].

٣ غزل الصوف والشعر:

ويرتبط بوفرة المواشي ونظرا لتوفر الصوف والشعر بكميات هائلة نظرا لاقتنائهم الأغنام والماعز، فقد أصبح غزل الصوف والشعر حرفة امتهنها الإيذجيين خاصة وساكني الإقليم عامة من اللور وغيرهم، فكانت كمية الصوف كبيرة إذا ما قورنت بالمكاييل المتداولة اليوم ، حيث أن كل راس من الغنم يجز منه كجم ونصف من الصوف ، ويظهر جليا ما يحصل عليه اللور من الصوف ، إضافة إلى صناعة الخيم من الشعر [٣].

٤ صناعة الجص:

ومن أشهر الصناعات في إيذج صناعة الجص وهي من الصناعات ذات العلاقة المباشرة بالسكان، وذلك لأن الجص مادة البناء الأساسية، حيث ذُكر ان الصيمره والسيروان مبنيتان من الجص والحجر [٤] .

كما استفاد اللور من وجود النفط والقير الطبيعي الموجود في مدينة إيذج " مال الأمير" كما ذُكرت الحمات [٥] والكباريت والبوارق [٦] في مدينة "ماسبذان " والي كان يصدر للخبازين في العراق ويسمى "بورق الخبز"

---

١ – الإصطخري:المسالك والممالك ،ص٨٨.

٢ – شريف الداودى :لورستان الكبرى،ص١٢٤.

٣ – جواد صفى : عشائر مركزى ايران ،ص٨٨.

٤ – ابن حوقل : صورة الأرض ،ص٣٤.

٥ – الحمات : جمع حمة ، وهى عين ماء فيها ماء حار يتشفى بها المرضى والأعلاء بالغسل منة (ابن منظور : لسان العرب،ج١،ص٧٢٧.)، القزوينى : أحسن التقاسيم ،ص٤٠٢.

٦ – البوارق: جمع بورق، وهو من المواد غير العضوية ، عبارة عن ملح يذوب بسهولة في الماء الدافىء ،وبصعوبة في الماء البارد (أدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع للهجرة ،ج٢،ص٣١٦.)

ويستعمل في تلميع الخبز .كما وجدت عين ماء فيه أملاح معدنية ملينة للأمعاء في المدينة نفسها [1].،

٥ النفط والقير الطبيعي

كما أشار المقدسي[2] إلى وجود النفط والقير الطبيعي في مدينة " السوس" بشكل سائل أسود اللون كان يستخدم في الاستعمالات المختلفة ،وقيل أن النفط الأسود كان ينبع في عين شمال مدينة عسكر مكرم ،وأضاف أنه إذا استقطر صار أبيضا.

٦ الذهب:

وهو من المعادن النفيسة الشهيرة، وقد استخدمه الإيذجيين في صناعة الحلى والمشغولات الذهبية من التحف، وقد بغت الصناعات الإيذيجية في عهد اتابكة لورستان الكبرى مبلغا، وساعد على ذلك وفرة المواد الخام من المعادن النفيسة والاحجار الكريمة، مما كان له بالغ الأثر في ازدهار صناعة الذهب[3].

إن وجود الثروات الطبيعية والمعادن في إيذج ساعدها علي النهوض بصناعتها التي غزت العالم في تلك الفترة ومن هذه الثروات الطبيعية المعادن الثمينة كالذهب والفضة الذين يوجدان في بلاد إقليم الجبال بصفة عامة كما ذكر وجود معادن أخرى كالزئبق والقصدير[4] . بينما نفي بعض الجغرافيين مثل ابن حوقل [5] في معرض حديثة عن إقليم الجبال ذلك "ليس بجميع الجبال معدن ذهب ولا فضة ". إلا ان الدمشقي أشار على وجود الفضة دون الذهب، حيث ذكر قائلا أنه يوجد فضة في إقليم الجبال في جبال القفص شمال الأهواز

---

[1] . ابن حوقل : صورة الأرض ،ص٣١٧.

[2] – شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري الصوفى الدمشقى(٦٥٤ــــ ٧٢٧هـــ/ ١٢٥٦-١٣٢٧م): نخبة الدهر فى عجائب البر و البحر،ص١١٩.

[3]– أحمد فؤاد: التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م،ص ١٢٩؛ عبدالحميد ايتى:تحرير وصاف،ص٣٨٥.

[4] – الدمشقي: نخبة الدهر فى عجائب البر و البحر، ص١٧٦.

[5] – ابن حوقل: صورة الأرض،٣١٧.

ووصف سكانها بأنهم من طوائف الأكراد التي لا تحصى عددا [١]. كما وجدت في إقليم لورستان مجموعة من المعادن الأخري مثل الفحم الحجرى [٢].

٧ السجاد:

تعتبر صناعة السجاد من أهم الصناعات التي تميزت بها "إيذج" وتميزت تلك الصناعة بالإتقان والجودة [٣]. وكانت رسوم السجاد متميزة وذات طبيعة خاصة، تعكس براعة الصناع والحرفيين، وبرزت الدقة المتناهية التي تمتع بها هؤلاء الصناع، وكانت تشمل على زخارف نباتية في الوسط، وحروف كوفية في الإطار [٤].

٨ النسج:

وهو حياكة الثياب وتطريزها، وقد برع سكان مدينة "إيذج" في هذا النوع من الصناعات نظرا لاهتمامهم بالثياب. كما اعتبرت الحياكة من الصناعات التقليدية المشهورة فيها، وأهم أنواع الحياكة هي (الجاجم) المحلى والسجاد الصوفي [٥]. كما وجدت أيضا فيها معدن الحديد حيث استفاد منه اللور، حيث توفر بكثرة في جبال وسفوح جبال منطقة عيلام الحالية [٦].

وصفوة القول إن وجود ازدهار الزراعة وكثرة المراعي في مدينة إيذج، إضافة إلى وجود المعادن بكثرة كان من عوامل ازدهار الصناعة المحلية في مدينة إيذج مما كان له أبلغ الأثر في شهرة الصناعات المحلية وتطورها على الشكل الملحوظ.

ثالثا : التجارة :-

رغم إمارة أتابكة لورستان في مدينة "إيذج " خلال فترة البحث تعد مستقلة، الا أن ذلك لم يمنعهم من الاتصال بباقي الأقاليم الاسلامية، لأنها عموما تؤلف مملكة واحدة سميت بمملكة الاسلام، وكل فرد فيها يتمتع بحق

---

[١]- القزويني : تاريخ كزيدة،ص٥٥٧.

[٢]- شريف الداودى: لورستان الكبرى ، ص١٢٦.

[٣]- الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ص٢٣٦.

[٤]- صلاح أحمد البهنسي: مناظر العرب في التصوير الإيراني في العصرين التيموري والصفوي، ص١٤٥.

[٥]- جواد صفى : عشائر مركزى ايران ،ص٨٨.

[٦]- المقدسي: احسن التقاسيم ،ص٤١٦.

المواطنة في جميع أرجائها، ويستطيع أن ينتقل بين أطرافها متمتعًا بالحرية الشخصية هذا فضلا عن أن سعة رقعة الدولة الاسلامية التي وجدت مناطق مختلفة كانت مجزئة سابقا، قد هيأت مساحات شاسعة للنشاط التجاري بين تلك المناطق لأن الدولة الاسلامية قد اتبعت سياسة حرية التجارة، فلم تقيد نقل السلع بين أقاليمها المختلفة [١].

ومما لا شك فيه أن التجارة من الحرف القديمة التي مارسها الإنسان، وتعد التجارة حرفة مكملة لإنتاج أية سلعة لا تكون لها قيمة اقتصادية إلا إذا نقلت غلي المستهلك وطرحت في الأسواق، وقد نشأت التجارة علي نطاق ضيق في المجتمعات التي تعتمد على الثروة الحيوانية بشكل رئيسي، وتمارس الزراعة، وقد كانت لورستان تقتنى المواشي والغنام بأعداد كبيرة واشتهرت بزراعتها المتعددة الأنواع، لذا كان من الطبيعي أن يتم التبادل التجاري بينها وبين من يجاورها من المدن والبلدان[٢].

الصادرات والواردات :

واشتهرت مدينة "إيذج" بكثرة ثلجها وكان يحمل ثلجها إلي الأهواز وغيرها من المدن في أطرافها[٣].كما اشتهرت مدينة" السوس" بتصدير السكر حيث وصل سكرها[٤] إلى بلدان الأعاجم والعراق واليمن ،وكانت تجارة الديباج الحسن رائجة حينها حيث حملت غلي جميع الافاق، كما بلغت الثياب القطنية والحريرية والخز التسترية ذروتها في عالم التصدير[٥].

كما صنفت تجارة الخز السوسية من التجارات المربحة في تلك الفترة[٦].كما كانت تصنع في مدينة " السوس " الثياب السلطانية [٧]. كما

---

[١]–على حسني الخربوطلي، الحضارة العربية الاسلامية، مطبعة الخانجي، (القاهرة، ١٩٩٤م،) ص٢٤٨.

[٢]– شريف الداودى: لورستان الكبرى ،ص١٢٦.

[٣]– ياقوت الحموى :معجم البلدان ،جـ٢،ص٣١.

[٤]– المقدسي: احسن التقاسيم ،ص٤١٦.

[٥]– الحموى :معجم البلدان ،جـ١،ص٢٨٨.

[٦]– شريف الداودى: لورستان الكبرى، ص١٢٧.

[٧]– الإصطخرى : المسالك والممالك، ص٩٣.

اشتهرت العمائم السوسية ، والمطارف السوسية والفرش الخز السوسي[١]. كما شكلت الماشية والأغنام والابقار نوعًا من التجارات الرابحة التي راجت بشكل ملحوظ، وأُعدت من أشهر أنواع التجارة في إقليم لورستان بأكمله، حيث كان اللور يبيعون ماشيتهم إلى الجزارين في مدينة "أصفهان" [٢] .

المعاملات المالية:

أما بالنسبة للمعاملات المالية في مدينة "إيذج" فكانت بالدينار الذهبي، والدرهم الفضي [٣] وهذه المعاملات ساعدت على زيادة النشاط التجاري في مدينة "إيذج"، إضافة الي زيادة حجم التبادل التجاري بينها وبين المدن والاقاليم المجاورة.

إضافة الى الاستقرار النسبي الذي شهدته مدينة "إيذج "نتج عنه ازدهارا اقتصاديا ملحوظا والذي أثر تأثيرا كبيرا على الحياة الاجتماعية-الاقتصادية لسكان المنطقة، فتمتع الأهالي بالطمأنينة والرخاء، بالإضافة الى الخيرات والثروات الطبيعية التي تمتعت بها إيذج، ويمكن أن تعد سياسة أتابكة لورستان في النهوض بالحياة الاقتصادية لسكان المنطقة العامل الاساسي والأهم في ازدهار الحياة الاقتصادية، لأن تلك الفترة من السيادة الكردية تعد فاصلا قصيرا الى حد ما بين الفترة السابقة لظهورها، والفترة اللاحقة لولائها التي تميزا بالركود، وعدم الاستقرار السياسي في الولايات إبان الغزو المغولي الغاشم .

الأوزان والمكاييل:

استخدم أهل مدينة "إيذج" العديد من المكاييل والاوزان التي كانت مشهوره، منتهجين النهج الذى سارت عليه العديد من المدن الأخرى في فارس، وهذه المكاييل هي:

---

[١]- رشيد بن الزبير(ت٥٦١هـ/١١٦٦م) الرشيد بن الزبير أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغساني الأسواني المصري: الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميدالله، قدم له صلاح الدين المنجد ، دائرة المطبوعات والنشر ،الكويت ،الطبعة الأولى ،١٩٥٩م، ص٢٧.

[٢]- ابن حوقل : صورة الأرض ،٢٦٢

[٣]- ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٩٩؛ انستاس سمارى الكرملي: النقود العربية وعلم النميات، الطبعة الأولى، المطبعة العصرية ، القاهرة،١٩٢٩م،ص٦٦.

١ **الجريب:** وهو من المكاييل التي استخدمت في المعاملات التجارية لأهل مدينة "إيذج" ، ويختلف عياره حسب البلدان التي تستخدمه، وهو بنا يعادل عشرة أقفزة[١]

٢ **القفيز:** وهو من المكاييل التي استخدمها اهل "ايذج" وهو عبارة عن عشر الجريب، وهو ثلاثمائة وستون زراعا مكسرة، والعشر عشر القفيز، وهو ست وثلاثون زراعا مكسرة[٢]. والقفيز هو من الأرض قدر مائة واربع وأربعين زراعا، والقفيز مكيال يسع ثمانية مكاكيك[٣].

٣ **الدائق:** وهو أربعة طاسيج –والطاسيج ثلث ثمن مثقال– والدينار أربعة وعشرون طاسوجا[٤].

٤ **الحبة:** وهى سدس سدس مثقال، ويقال أيضا بأنه: ربع تسع مثقال، والدينار ست وثلاثون حبة، والشعيرة ثلث الحبة، والدينار مائة وثمان شعيرات، والشعيرة ثلث ربع تسع مثقال[٥].

٥ **الرطل:** بكسر الراء وفتحها، والكسر أفصح، والرطل اثنتا عشر اوقية، وقدر نصف منا، والرطل في بغداد مائة وثلاثون درهما بدراهم الإسلام، وقيل مائة وثمانية وعشرون، وقيل مائة وثمانية وعشرون درهما وأربع أسباع درهم، وقيل أنه مائة وسبعة وعشرون درهما وأربع أسباع درهم، وهو تسعون مثقالا[٦].

٦ **المن:** وهو كيل أو ميزان، والمن رطلان، وهو مائتان وستون درهما، وأوقيه ست وعشرون أوقية، فتكون أوقيته عشرة دراهم، والمنا هو الرطل الذي يوزن به [٧].

---

[١]– القفيز: هو مكيال كان استعماله شائعا وكان مقداره يختلف من بلد لأخرى، وهو بالتقدير نحو ستة عشر كيلو غراما (مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والالقاب التاريخية، ص٣٥٢).

[٢]– الخوارزمي: مفتاح العلوم ،٩٢.

[٣]– المكاكيك: وهى تعنى الصاع والمكاكيك هو اسم للمكيال، ويختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه في البلاد(أحمد الشرباصي: المعجم الاقتصادي الإسلامي ،٤٣٨).

[٤]– الخوارزمي: مفتاح العلوم، ص٨٨.

[٥]– الخوارزمي: المصدر السابق نفسه والصفحة.

[٦]– أحمد الشرباصي: المعجم الاقتصادي الإسلامي، ص ١٩٥.

[٧]– أحمد الشرباصي: المعجم الاقتصادي الإسلامي ،٤٤٤.